مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد في الأولى والآخرة ، وصف نفسه بأنه الغفور الودود فقال : ﴿ **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ** ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج :١٤] ، ووصفه أنبياؤه خير من عرفوا عظيم مودته ومحبته ، فقال شعيب عليه السلام : ﴿ **إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** ﴾ [هود : ٩٠] ، سبحانه، يحب أهل طاعته ، ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ [آل عمران :٣١] ، ووعد أحبابه بأن يُلقي حبهم في قلوب الناس ، ويكتب لهم القبول ، فقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم : ٩٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، أحبُّ خلق الله إلى الله ، القائل : « **أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس ...** » [١] ، فاللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله ، وارض عن جميع أصحابه ، وعنَّا معهم يا أرحم الراحمين .

أما بعد :

فإن ديننا الحنيف تنبني تشريعاته على مجموعة من المقاصد والحِكم ، أكثرها تهدف إلى تحقيق وحفظ مصالح الناس العامة ، بجلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم، « وهذا يعني أن الأعمال الشرعية ليست مقصودة في ذاتها ، وإنما قصد منها تحقيق المصالح التي شرعت لها » [٢] .

✿ وهذا ما أكده الإمام العزّ بن عبد السلام بقوله : « والشريعة كلها مصالح : إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح »[٣]،وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال :

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني برقم ٩٠٦ .

(٢) انظر : الشاطبي : الموافقات ٢ / ٣٨٥ .

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١ / ١١ .

« إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها »[١].

❁ ولقد جاءت شريعتنا الغراء ـ أيضًا ـ وهي تُقدِّم المصلحة العامة للجماعة على المصلحة الفردية ، لأن المصلحة العامة يَعمُّ نفعها كل أفراد المجتمع ، وأما المصلحة الخاصة فقد لا يتجاوز نفعها مَنْ حصلت له .

❁ وهذه المقاصد الشرعية العظيمة لابد لها من وسائل لتحقيقها والوصول إليها ، ومن رحمة الله ـ تعالى ـ أنه وضَّح المقاصد والوسائل ، ومع هذا التوضيح الشافي الكافي : ترغيب وترهيب لتحقيق المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار.

❁ **فعلى سبيل المثال :** تعليم الناس ومَحْو جهالتهم ، مقصد شرعي من أهم المقاصد ، ومصلحة ومنفعة راجحة كل الرجحان ، جاءت عشرات الأحاديث النبوية الشريفة تُرغِّب في تحقيق هذا المقصد ، وترفع شأن من يحقق هذا المقصد وتُعظّم أجره ، ومثلها أحاديث تُحذِّر من إهمال تحقيق هذا المقصد ، بكتمان العلم أو عدم البيان .

❁ **مثال آخر :** توفير القوت لعيش آمن رغد ، بعيداً عن المجاعات ... مقصد هام ـ أيضًا ـ جاءت عشرات النصوص الشرعية التي ترغّب في تحقيقه ، بالحثّ على الزرع وإصلاح الأرض الموات ، وتنهى عن إتلاف الأراضي الصالحة .

❁ **مثال آخر :** توفير الأمن والاستقرار والنظام للمجتمع ، بالأخذ على أيدي العابثين والظالمين ، ونصرة المظلومين ودفع الظلم عنهم ، وإقامة العدل ، مقصد شرعي في غاية الأهمية ، ورد فيه العديد من النصوص ترغيبًا وترهيبًا من أجل دفع الناس إلى تحقيقه والحذر من إهماله وتضيعيه .

❁ وهكذا نجد الشريعة ـ الغراء ـ تحيط المقاصد والوسائل بهذا المنهج التربوي العميق، في دعوة الناس لتحقيق هذه المقاصد الشرعية لتحصيل المصالح والمنافع، ودرء المفاسد ،وهذا كله لتوفير جوّ مناسب للإنسان المؤمن ليعبد الله تعالى بكل

(١) مجموع الفتاوى ٢٠ / ٤٨ .

ما ارتضاه وشرعه من العبادة،علمًا بأن المقاصد ووسائلها تعتبر من العبادات أيضًا.

❁ والمتتبع للتراث الضخم عندنا يجد كثيراً من الكتب التي قد ركّزت على جمع النصوص في هذا الجانب ـ أعني الترغيب والترهيب ـ لتوفير وجبة علمية غزيرة لدفع الناس وتفعيلهم ، نحو تحقيق المصالح والمنافع ، ودرء المفاسد والمضار، ومن ذلك « الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ، الأدب المفرد للبخاري ، المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي ، الكبائر للذهبي ، رياض الصالحين للنووي ، قضاء حوائج الناس لابن أبي الدنيا ... وغير ذلك » .

ولعل أهمها على الإطلاق كتاب : الترغيب والترهيب للمنذري، والذي قال عنه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ « إنه ليس بخافٍ على أحد من أهل العلم أن كتاب الترغيب والترهيب ، هو أجمع وأنفع ما أُلِّفَ في موضوعه ، فقد أحاط فيه ـ أو كاد ـ بما تفرق في بطون الكتب الستة وغيرها من أحاديث الترغيب والترهيب في مختلف أبواب الشريعة الغراء ... مما لا يكاد يستغني عنه واعظ أو مرشد ولا خطيب أو مدرس ، وقد أجاد ترتيبه وتصنيفه ، وأحسن جمعه وتأليفه ، فاستحق بذلك أن يصفه الحافظ الذهبي النَّقاد : بأنه كتاب نفيس » [١] .

❁ وبالتالي لو وُجِدت دراسات تُعني بالدمج بين المقاصد الشرعية « كناحية أصولية » وبين المادة الغزيرة الواردة في السُّنَّة النبوية ، في أسلوب وعظي ، يخاطب القلوب بعيداً عن المنهجيات الجافة في كثير من الأحيان ، لربما كان لمثل هذه الدراسات أثر جَيِّد في تفعيل الأُمَّة نحو فعل الخير العام والخاص ، وتحقيق المقاصد الشرعية المحترمة .

❁ ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة المتواضعة ، من ذي جهد مُقِلّ ، جعلتُ الأصل فيها : الإرشاد إلى الأعمال التي تحقق النفع العام لأفراد المجتمع ، وفي نفس الوقت تقرّبهم إلى الله ـ تعالى ـ ،وقد جمع هذا الأصل قولُ النَّبيّ ﷺ :

---

(١) **انظر** : مقدمة الشيخ الألباني على صحيح الترغيب والترهيب ١ / ٣٥ ، ٣٦ .

« **أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ...** » (١) .

❁ **والملاحظ** : أن من المهم أن يعرف الإنسان المدعو للعمل وللنفع ، موقع العمل الذي يُدعى للقيام به من الأحكام الشرعية ، حتى يحدّد أولوياته واهتماماته في العمل ، بقدر الإمكان .

❁ وأهم الأعمال ما كان في موقع الوجوب ، ينبغي أن يُبادَر للقيام به ، والواجب له تقسيمات بعدة اعتبارات،يعنينا هنا تقسيمه باعتبار المكلف بأدائه، وينقسم إلى قسمين : واجب عيني ، وواجب كفائي ، وفي الغالب كانت المنفعة المترتبة على القيام بالواجبات العينية مصلحة فردية تعود على من قام به فقط ، لأنها شُرعت لابتلاء المكلفين ، فإن قاموا بها كان نفعها لهم ، وإن قصّروا كان الوزر عليهم ، وأما الواجبات الكفائية ، فإن تحقيقها يحقق المصلحة العامة، ومتى تحققت المصلحة العامة برئت ذمة المكلفين جميعًا (٢) .

❁ **ونخلص من هذا** : إلى أن الأُمة لو حرصت على إحياء الواجبات الكفائية وفهمت حدودها فهمًا دقيقًا ، لوجدت المخارج لحلّ أزماتها ، ولنهضت في شتى مجالات الإصلاح والتنمية ، ولكن هذا يحتاج لبلوغه إلى جهود وحملات مكثفة من التوعية الصادقة ، من الكُتّاب والمفكّرين والإعلاميين والخطباء والمدرسين ... في كافة القطاعات .

وجدير بالذّكر أنني قد شاركت في إجراء دراسة ميدانية قامت بها مؤسسة أنداء للإنتاج الفني والتوزيع،لاستطلاع مدى جاهزية واستعداد المجتمع للتفاعل ، وكانت النتائج بفضل الله مبهرة للغاية ، تشير إلى أن معدّل الجاهزية والاستعداد مرتفع (٣) ، فالناس بحاجة إلى من يُفعّلهم باستمرار ، ويتابع سيرهم بالتوجيه

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر : د. عبد الباقي عبد الكبير : إحياء الفروض الكفائية ... ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) سيأتي عرض شامل لنتائج تلك الدراسة في هذا البحث .

والتخطيط ، بحاجة إلى قائد يحسن قيادتهم في كافة المجالات ، ويتحلى بصفات القائد ، والتي من أهمها إنكار الذات، وهذا ما يركز دائمًا كثير من الإخوة الأفاضل من الدعاة اليوم عليه في تفعيل الأُمَّة .

وقد اخترت عنوان هذا الكتاب [أحبهم أنفعهم] ، تيمنًا بكلام النَّبيّ ﷺ وقسمته إلى عشرين مبحث وخاتمة :

المبحث الأول : شحنه نبوية لتفعيل المسلم نحو نفع إخوانه بما يستطيع .

المبحث الثاني : هل تدري معنى « أحب الخلق إلى الله ؟ » .

المبحث الثالث : ثمرات محبة الله تعالى .

المبحث الرابع : إحياء الواجبات الكفائية وأثره في نفع الأمة .

المبحث الخامس : نفع الناس بالتعليم لمحو جهالتهم .

المبحث السادس : نفع الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث السابع : نفع الناس بتوعيتهم وتصحيح المفاهيم لهم .

المبحث الثامن : نفع الناس بالزرع والغرس .

المبحث التاسع : نفع الناس بمواساتهم وإعانتهم في أمراضهم .

المبحث العاشر : نفع الناس بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم .

المبحث الحادي عشر : نفع الناس بستر عوراتهم .

المبحث الثاني عشر : نفع المسلمين بالدعاء لهم بظهر الغيب .

المبحث الثالث عشر : نفع الناس بإماطة الأذى عن الأماكن العامة .

المبحث الرابع عشر : نفع الناس بإقامة الحدود لتوفير الأمن لهم .

المبحث الخامس عشر : نفع الناس بالإصلاح بينهم .

المبحث السادس عشر : نفع الناس بدفع الظلم عنهم .

المبحث السابع عشر : نفع الناس بالشفاعة لهم .

obeikandl.com

المبحث الثامن عشر: نفع الناس بحسن المعاملة .

المبحث التاسع عشر: نفع الناس بكف الأذى عنهم .

المبحث العشـــرون: عرض للدراسة الميدانية .

الخاتمة: سجلت بها أهم النتائج والتوصيات .

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى ، أن يغفر لنا ، وأن يتجاوز عنَّا ، وأن يجعلنا مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، وأن يرزقنا صِدْق القول والعمل ، ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف :١٥] .

كتبه الفقير إلى عفو ربـــه المنان

أبـــو علـــيّ

عماد علي عبد السميع حسين

دكتوراه في أصول الدين والدعوة الإسلامية من جامعة الأزهر

رئيس قسم علوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية

obeikandl.com